بروميثيوس
فـــى الأغـــلال
(للشاعر اسخليوس)

ترجمة وتعليق :

دكتور اسحق عبيد

كلية الآداب

جامعة عين شمس

بروميثيوس فى الأغلال

(للشاعر اسخيلوس)

مكتبة مدبولى
٦ ميدان طلعت حــرب القاهرة ت ٧٥٦٤٢١
MADBOULI BOOKSHOP
6 Talat Harb SQ. Tel: 756421

تقديم

عاش اسخيلوس ما بين عامى ٥٢٥ - ٤٥٦ق.م وقد ولد فى اليوزيس على مقربة من آثينا لعائلة نبيلة. وقد شارك الشاعر فى الحروب الشرسة التى دارت بين اليونان والفرس. ويكشف النقش على ضريح اسخيلوس، والذى يظن أنه قد نظمه بنفسه لنفسه، أنه شارك فى معركة ماراثون (بقيادة القائد ملتيادیس سنة ٤٩٠ ق.م) والتى تمّ فيها انتصار اليونان على الفرس. كما وأن الوصف الذى ورد عن معركة سلاس البحرية والتى حطم اليونان فيها اسطول اكزركسيز الفارسى (سنة ٤٨٠ق.م) وذلك فى روايته «الفرس» يوحى بأنه كان مشاركاً أيضا فى هذه المعركة الحاسمة.

ولقد قام اسخيلوس بزيارات متكررة لجزيرة صقلية بدعوة من مليكها هيرون الأول، وتوفى فى مدينة جيلا بنفس الجزيرة، وتروى بعض الروايات أن نسراً كان قد انقض على سلحفاة ثقيلة وطار بها، ولكن السلحفاة سقطت من بين مخالبه، فهبطت على رأس اسخيلوس الصلعاء فأردته قتيلاً.

ومن المعروف عند الدارسين* أن السياسى الكبير والخطيب المرموق بركليز (٥٠٠ - ٤٢٩ ق.م). قد شارك فى الكورس على الخشبة التى كانت تقدم عليها مسرحيات اسخيلوس، ويذكر فى هذا الخصوص مشاركته فى «الفرس» تحديداً سنة ٤٧٢ق.م.

وبعد وفاة اسخيلوس، اعترف به الأغارقة كواحد من أعظم شعرائهم عبقرية وكانت مسرحياته تجذب العشاق الكثيرين. ولإسخيلوس ابن يدعى يوفوريون وهو من شعراء التراجيديا أيضا.

كتب اسخيلوس قرابة تسعين رواية، وصلنا منها سبعٌ فقط وهى :

(١) الضارعات	Suppliants
(٢) الفرس	Persians
(٣) سبعةٌ ضد طيبة	Seven against Thebes
(٤) بروميثيوس فى الأغلال	Prometheus Vinctus
(٥) أجاممنون	Agamemnon
(٦) خويفوروى	Cheophoroe
(٧) يومينيديز	Eunenides

وتؤلف المسرحيات الثلاث الأخيرة ثلاثية اسخيلوس الخالدة بعنوان «أورستيا».

(*) George Thomson, Aeschylus and Athens, London, 1980; Mahaffy, J.P., History of Classical Greek Literature. London, 1880; Murray, G., Aeschylus, Oxford, 1940,
For Further readings see by Gearge Thomson:
(1) Aeschylus, Prometheus Bound. Cambridge, 1932. (2) The Oresteia Trilogy and Prometheus bound. New York, 1965.

كان اسخيلوس منافساً خطيراً لمشاهير عصره من الشعراء، من أمثال براتيناس، فيرينيكوس، كوربليوس، ثم سيفوكليز نفسه.

وقد نال اسخيلوس جائزته الأولى فى مهرجان سنة ٤٨٤ق.م، وفاز بالجائزة الأولى مرة ثانية فى مهرجان سنة ٤٧٢ ق.م، ولكن سيفوكليز فاز عليه فى مهرجان سنة ٤٦٨ ق.م غير أن اسخيلوس عاد وأحرز النصر وتربع على عرش الصدارة سنة ٤٥٨ ق.م بخالدته «أورستيا».

ويعتبر اسخيلوس المؤسس الحقيقى للتراجيديا اليونانية، وهو مبتكر الديالوج والحبكة الدرامية. ومع أن أرسطو يقول بأن سيفوكليز هو الذى ابتدع فكرة «المناظر» على خشبة المسرح اليونانى، إلا أن هنالك اعتقاداً بأن اسخيلوس أيضاً قد استعان «بالمناظر» فى رواياته خاصة فى مسرحية بروميثيوس. وتنطق مسرحيات اسخيلوس بأبعاد من الرعب والمخافة والرهبة التى تعد فوق طاقة البشر. وهذه العناصر مستقاة فى أغلب الأحوال من ينابيع المتيولوجيا اليونانية الباكرة والضاربة فى القدم، فى العقل الباطن والجمعى لأمة الأغارقة. ويخص النقاد شعر اسخيلوس بالرصانة والأزديان بالصور الجمالية التى لا تضارى. واسخيلوس فوق هذا وذاك هو شيخ الشعر الغنائى. ولا نجد فى هذا التقديم خيراً من سطور كتبها متخصص فى الشاعر اسخيلوس هو الأستاذ جورج طومسون الذى كتب يقول :

«ولعل من أخطر بصمات الحضارة على الجنس البشرى تلك الأزمات العصبية التى تمس الناس هنا وهناك. ذلك أن المجتمع الإنسانى وهو يتطور فإنه أيضا يتعقد، وينتج عن هذا التعقد كم رهيب من

التناقضات ولو أن قضية الحضارة تثبت عند هذا الحد العصابى فحسب، فإنه يحق لنا كقراء أن نصب اللعنات على بطل مأساوى من قبيل بروميثيوس. ولكن المسألة ليست كذلك. فالصلة بين الحالين- التعقد والتناقض.. ليست صلة ميكانيكية. وإنما هى علاقة ديالكتيكية. إن الإنسان يتعلم الكثير من خلال درب المعاناة. وفى هذا المخاض يجد الفن له متنفسا للتعبير عن ذاته. إنك لتجد من بين الفنانين شاعراً يحاول إصلاح الكون مثل شيللى، وآخر يحاول الهرب من هذا الكون مثل كيتس، وثالثا يتلمس الأعذار لنفس الكون مثل ملتون، ورابعاً يخرج الكون فى صور كلامية مثل شكسبير. على أنه ينبغى علينا أن نعى أن هذا اللاوفاق بين الفرد ومحيطه، والذى يمزق الفنان، هو الذى يدفع بنفس الفنان إلى آفاق الخيال الخصيب الذى يعمر بالانسجام والهارمونية والمعافاة.. ذلك الانسجام الذى أنكره عليه مجتمعه الذى يحيا فيه»**.

(**) Thomson,G., Aeschylus and Athens, pp.359 - 60 : "One of the effects of Civilisation is undoubtedly to multiply the possibilities of nervous disorders. As Society grows more complex, it develops fresh contradictions. If this were the whole of the matter, we should have reason to Curse Prometheus; but it is not. The relation between the two processes is not a mechanical one, but dialectical.. Man learns by suffering. And it is these contradictions that find expression in the arts. The artist may endeavour to reform the world, like Shelley, or to escape from it, like Keats, or to justify it, like Milton, or simply to describe it, like Shakespeare, but it is discord between the individual and his environment, which, as an artist, he feels with peculiar force, that impels him to create in fantasy the harmony denied to him in a world out of joint.

بروميثيوس فى الأغلال

المنظـر الأول

صخرة فى بلاد القوقاز. يدخل إلها الجبروت والشدة، ونفر من الأبالسة من خدام زيوس كبير الآلهة ومعهم هيفايستوس الحداد.

جبـــــروت :

ها نحن عند أطراف المسكونة

فى بلاد إسكيزيا

أرض الخراب والعدم

أرض لم تعرفها قدم.

هيفايستوس !

أيها الحداد القدير.

تذكر أمر زيوس.

هيا قيدْ الأسير.

بأغلال من الحديد.

لقد تطاول على الأسرار

واختطف شعلة النار

ثم ألقاها للبشر.

فعله إثم كبير.

وزيوس حكم بالقصاص.

أي بروميثيوس!

سوف تعلم بعد قليل.

أن زيوس سيد عنيد.

هيفايستوس :

سيدي جبروت

مولاي صاحب الشدة

أعلم أنكما أداة لزيوس

عذراً لقلبي الضعيف

هذي الصخرة هنا

منظرها مخيف.

لا حيلة الآن.

أحكام زيوس.

ينبغى أن تصان.

أى ابن تيميس

أى بروميثيوس التعيس

تلكم هى الأقدار

ما بإرادتك سقطتَ

وليس لى فى الأمر خيار.

علىَّ أن أقيدك بالمسامير

فأنا السجان وأنت الأسير.

هنا ستُلقى وحيداً

بعيداً عن جنس البشر..

هنا لا تسمع الأذن

وليس يجدى البصر.

الشمس تنسكب كالأتون.

تذيب بشرتك مع السعير.

سوف تتمنى حلول الظلام.

وستارا عليك من الغمام.

سوف تترقب القرص الوليد

يبزغ مع كل فجر جديد.

هذا هو الحصاد

جناية حبك

لجنس البشر.

أنت رب كسائر الأرباب

كيف لم تحسب لمكرهم الحساب؟

هذه الصخرة قيدك الآن

تسهر عليها متصلب القدم

تجأر أنينا وراء أنين

أنت تعرف زيوس

وكم هو عنيد

لا رجاء يحركه.

وللصلاة لا يلين

ولكل سيدٍ على العرش جديد

غلظة أصلب من عود الحديد!!

جبـــــروت :

إنتبه : هيفايستوس

هذا الحديث مريب.

أنت تعلم أيها الحداد

أن بروميثيوس تمرد على الأرباب

إنه سارق خطير

تطاول على الأسرار

ودنس شعلة النار.

هيفايستوس :

بروميثيوس ليَّ قريب

وكان معى نعم الرفيق..

جبـــــروت :

قد يكون الأمر على ما تقول

ولكن حذار ثم حذار

زيوس سيد جبار.

هيفايستوس :

لك قلب من الحجر

قُضَيِ الأمرُ

ولن يجدىَ الحذر.

جبـــــروت :

كلامٌ جنائزىٌ لن يفيد

إصمت

لا نريد منك المزيد.

هيفايستوس :

تباً لفعل يدى الأثيم

فالحدادة صناعتها من قديم!!

جبـــــروت :

لا تتعلل هكذا فى كدر

بروميثيوس اختار

لنفسه هذا القَدَرْ.

هيفايستوس :

ليت غيرى يتولى عنى

هذا الفعل البغيض.

جبـــــروت :

هيفايستوس

إفهم ما نقول :

كل من فى الكون

بحمله يضيق..

زيوس وحده

الرب الطليق.

هيفايستوس :

أجل

هذا أعرفه تماما.

الشـــــدة :

هيفايستوس :

هيا إلى العمل

قيد بروميثيوس

بأغلال من الحديد.

هيفايستوس :

ها هى الأغلال أمامك

ولا مناص من العمل.

الشـــــدة :

نعم، قيده بهذه الأغلال

وأضرب عليها بالمطرقة.

ثم سمره على هذا الصخر.

هيفايستوس :

كم أكره هذا العمل.

الشـــــدة :

إضرب عليه بالمطرقة

عمق مسار الثقوب

بروميثيوس إله خبيث

وأخشى أن يفلت أو يطير

هيفايستوس :

هون عليك

انظر إلى وثاق الحديد

الاسير مطوق كما تريد.

الشـــــدة :

وثق القيد على الساعد الآخر

بروميثيوس قد تطاول وتفاخر

على رب الأرباب.

هيفايستوس :

أى بروميثيوس

أيها الصديق

أنا أعلم أنك

لن تغفر لى

هذا الصنيع!!

الشـــــدة :

إغرس فك المسمار

فى صدره اللعين

إغرس بعمق

وحذار أن تلين.

هيفايستوس :

لهفى عليك

يا بروميثيوس

لهفى عليك شديد

وإنى على حالك جد حزين!!

الشـــــدة :

أتأسى لحاله يا هيفايستوس

أتواسى عدوا لزيوس؟

أفق!!

وإلا أسيت لحالك

عما قريب!!

هيفايستوس :

هذا الذى

تصنعه يداى

شىء أليم!!

الشـــــدة :

هو ذا الوغد ينال القصاص

قيده بأغلال من طوق الحديد.

هيفايستوس :

لا تلمنى سيدى

هذى المهمة توجعنى

ولكن لك ما تريد.

الشـــــدة :

لابد من حثك

فى كل حين..

اهبط الآن رويداً

وقيد ساقيه

أيضا بالحديد.

هيفايستوس :

ها قد انتهينا

بروميثيوس الآن

فى الأغلال.

الشـــــدة :

أعد الطرقَ

اطرق من جديد

سيدنا زيوس

يراقب من بعيد.

هيفايستوس :

لا ترمقنى هكذا

كفانى من الوعيد.

الشـــــدة :

أيها الحداد

لكم أنت لين الفؤاد

أما أنا

فلى قلب شديد.

هيفايستوس :

اكتمل العمل

بروميثيوس

مقيدٌ بلا أمل.

الشـــدة : (مخاطبا بروميثيوس) :

أين بأسك أيها المغوار

دنست سر الأسرار

تطاولت على الأرباب

وقدمت النار لبنى البشر

لست أدرى

كيف اسميناك

بالمتروِّى فى الفكر

فكرك اليوم ها هنا

حبيس الصَخرْ.

(يمضى الجميع تاركين بروميثيوس مقيداً فى الصخرة).

المنظر الثاني

بروميثيوس:

يا شعاع النور

أيتها الريح

المجنحةُ الشراع

يا ينابيع النهر.

أيها الموج الجبار

أيتها الأرض

يا أم البشر

وأنت يا

قرص الشمس الكبير

أيها الرائى المنير:

هيا اشهدوا جميعا

أنا إله يعذبه الآلهة الآخرون

أنا أكابد فى أنين

وأغلالى مسافات

لا تقاس بألوف السنين.

هكذا قضى زيوس

وهو رب من نسل أمير.

تُرى

أأنعى ليومى

أم لما هو آتٍ

علىّ من عذاب السنين.

كنت أعلم أقدارى من قديم.

الأسى لا يغير من وجهه الذميم.

سأتزرع بالصبر

فى كل حين..

أين للصبر يغالب

هذا القدرَ اللعين؟

أنا مهموم، أنا حزين

من أجلك

يا ابن الإنسان

أنا مغلول، أنا أسير.

كشفتُ النقاب عن

جوهر النار

فصارت

نبراساً للبشر..

ما أعجب جزائي

على هذا الصنيع..

أريد لهم الحياة

وزيوس يضمر

لنا الخطر.

اسمع أصواتا

تتناهى إلينا..

تُرى

ما تلك الريح الخفية؟

أقادمة هى

من عند الأرباب

أم زفرتها

صدور البشر؟

أم هى

خليُط من الريح والكدر

هل هبت من أوكارها

لتحملق فى قيود الضجر

أم ترى

للريح مقاصدٌ أخر؟

أيتها الريح

الوافدة علينا

ها أنذا كما تبصرين.

إله مقيد فى الأغلال.

عدو لزيوس الجبار

ممقوت من كل الأرباب

وليس لنا فى

بلاطهم من شفيع..

لماذا؟

لأننى محب لجنس البشر

هل هذا حفيف

أجنحة الطيور؟

لست أدرى

كل شىء بات

يبعث على الخوف والخطر.

(يدخل كورس من بنات أوقيانوس (المحيط) فى شكل الطيور)

الكورس :

أى بروميثيوس العزيز

لا تخش شيئا

نحن زمرة من الأصدقاء

لقد سبقنا الريح

إلى هذا الجبل..

وبعد جهد مع أبينا

طرنا على جناح السفر.

ما كاد أوقيانوس يأذن لنا

حتى هرعنا إلى ها هنا

لقد دوت أجراس أغلالك

فى جوف كهوفنا.

فزلزلت أعشاشنا

فمرقنا نسبق

شراع الريح إليك.

بروميثيوس :

يا بنات تيميس الخصيبة.

يا بنات أوقيانوس العظيم

الذى يغلف المسكونة

بموج

لا يعرف النوم ولا السكون.

هيا أنظرن إلى حالى

حملقن فى هذى القيود

التى تشدنى إلى الصَخَره

فى بطن الأخدود العميق..

هنا سأبقى مقيداِ..

معذباً إلى أمدٍ بعيد.

الكـــورس :

حقا يا بروميثيوس

إن سحابة من الدمع

تغمر عينيك

وإنك آخذ فى الذبول.

ما تلك القيود

وما هذا الإسار

من أغلال العار؟

لا عجب فى الأمر :

فالأولمب اليوم

يعمر بسادة جدد

ولزيوس عادات جديدة

هو لا يعرف الحدود

وليس لمثله وعود..

لقد مال على

كل إرث قديم

وحطم أجمل القيم.

بروميثيوس :

ليت زيوس ألقى بى

إلى أسفل السافلين

فى عمق هيديس

حيث الموتى يرقدون.

نعم

ليته فعل ذلك

ورمى بى فى رحم العدم..

إلى ظلام تارتاروس

مقيدا بالأغلال.

ولكن ما الحيلة الآن؟

أنا دمية معلقة

تعبث بها الريح

فى هوان...

يسخر منى الأرباب

وللشماتِة ألوان.

الكــورس :

ما استحق

أن يكون ربًا

صاحبُ قلب

يشمت فى حالك

يابروميثيوس..

من ذا الذى

لا يحزن

لما أنت فيه من محن؟

سوى زيوس وحده

فهو صاحب قلب غليظ..

كيف يذل نسل أورانوس الكرام

أجل!!

إلهنا جُبِلُ على الأنتقام.

ليتَ ثائرا يقوم

لينقض على هذا السلطان

بحيلة عبقرية من الحيل.

بروميثيوس :

قسماً

سيأتى اليوم

ولو بعد حين

ويحتاج زيوس

إلى بروميثيوس الأسير

نعم، سيحتاجنى

أنا الذى أتعذب

بأصفاد الألم..

سوف يحتاجنى

ذاك السيد الكبير

يطلب النصح ضد الثائرين

يوم يزلزل

عرش العروش القديم.

وعندها

لن ينطلى علىّ

كلامه المعسول

لا لن ألين..

ولن يروعنى

تهديد ولا وعيد

ولن أبوح بسرى الدفين

لا لن أبوح

حتى تتهتك عنى

تلك القيود

ويندمَ زيوس

على ما قد فعل.

الكـــورس :

بروميثيوس

لك قلب صبور

بروميثيوس

أنت أقوى من الألم

لك لسان طليق،

أما نحن

فقد خلقنا على الوَجَلْ.

بؤسُ حالك مرير

متى نراك

تتحرر من قيد الجبل؟

قلبُ زيوس

ليس ككل القلوب

نحن نعلم

إنه من الحجر.

هكذا كان

وهكذا سوف يكون

زيوس

ابن كرونوس العتيد.

بروميثيوس:

أنا أعلم أنه وحشي

وليس للعدل عنده

معيارٌ ولا سند.

سوف يُحَطَّمُ الطاغوت

سوف يزول

عندما تحين الساعة

عندما يدق ناقوس الخطر.

إن قلبه الآن

صلدٌ لا يلين

ولكنه سوف يدق

مع تقلبات الزمن...

ويومها يلهث

ليلقانى ههنا

وفى حال من الفزع

سوف ينشد

ودى القديم.

نعم

زيوس سيأتى بعد حين

سوف يأتى ها هنا

هذا أمرٌ أكيد

الكـــورس :

بروميثيوس :

هلا كشفت لنا النقاب

فيمَ اتُهمتَ

وما سر العقاب؟

بهذه القسوة

بهذا العذاب؟

هيا خبرنا

ما لم تجد

حرجاً في الخبر

ولعل الحديثَ

لا يثير لديك

شجونا ولا كَدَرْ.

بروميثيوس :

الحديث فى الأمر

ملىء بالشجون

والصمت أمَرُّ من الحديث

لو تصدقون

وأنا فى الحالين حزين :

عندما تنازع الأرباب

واندلعت نيران الغضب

فريق ضد كرونوس القديم؛

وآخر كاره لابنه زيوس

لا يريدونه أميراً عليهم

لكم جاهدت مع التيتان

من أبناء أورانوس والأرض

ولكننى فى مسعاى فشلت..

ودبر التيتان ضربتهم

ولكن تيميس الوفية

أمنا الأرض

صاحبة الألقاب العديدة

كشفت لىَّ عن المجهول

وهمست إلىَّ تقول :

«ليس بالقوة يا بنى

تسمح الأقدارُ وتنصاع

وإنما بالحيلة يكون الانتصار».

ونقلت النصح إلى التيتان

فسخروا منا معاً

ومضوا فى خطتهم يتربصون.

لم يكن بدّ لى من

مناصرة زيوس الأمير.

وانضمت الأم إلينا

وكان هو تواقا لكلينا

ولم نبخل بالنصح إليه.

وتحرك زيوس سريعا

فأخفى كرونوس العجوز

فى ظلمات تارتاروس

ومعه أجناده

وصار الحكم لزيوس

وهذا الآن جزائى

أجل!

نكران الجميل طبعٌ
يعرفه كل الطغاة
ومن يعتلى العرش منهم
يميل على الأصدقاء.
يبقى أمرٌ بلا جواب
علامَ كان العقاب؟
هذا أيضا أدلكم عليه :
اعتلى زيوس عرش أبيه المخلوع
وأغرق الأرباب بالعطايا
وضَنَ على جنس البشر
بل بات يدبر
ليخلق مخلوقات أُخَرْ
فيمحو بذلك
جنس البشر.
ووافق الكل على القرار
ولكننى تصديت لهم
تحديتهم فى إصرار..

وأنقذت بنى الإنسان

أنقذتهم من الدمار

لقد كان يخطط

ليلقى بهم فى هيديس.

من أجل هذا

أنا مقيد الآن بالاغلال

على هذا الصخر.

عذابى يفوق كل عذاب

أنا اخترت لنفسى

طريق الصعاب

وزيوس إله لا يرحم.

قيودى على هذا الجبل

تستوجب العار

لا - بل يستحى منها الخجل.

الكـــورس :

من يراك على هذا الحال

ولا يشعر بالأسى

فقلبه حديد أو حجر.

ما كنا نود رؤياك

مقيداً هكذا على الصَخَرّ.

أما وقد رأيناك

فإن القلب يبكيك

أيها البطل!

بروميثيوس :

أجل

من يراني من الأصدقاء

يأسى لحالى

ويلعن القَدَرْ.

الكــورس :

قل لنا بروميثيوس

هل قدمت للإنسان أسرارا آخُرْ؟

بروميثيوس :

نعم

لقد حجبت عنه

معرفة ما يخبؤه القدر .

الكـــورس :

وما الدواء؟

وكيف الحذر؟

بروميثيوس :

بذرت فى قلوب الناس

أمالاً عراضاً

بريقها يعمى البصر.

الكـــورس :

يالها من هبةً

تلك التى

تخفى خبايا القدر.

بروميثيوس :

ثم اتخذت القرار

واختطفت لهم النار.

الكـــورس :

ترى

هل بات بنو الإنسان

يعرفون حقا

معدن الشرر؟

بروميثيوس :

أجل

وبها سوف يتعلمون

الكثير من الحيل.

الكـــورس :

إذن هذه جريمتك

بروميثيوس :

نعم

ولهذا يذيقنى زيوس

كؤوس الألم!!

الكـــورس :

ترى

هل لأغلالك هذه

من نهاية؟

بروميثيوس :

هذا أمر يملكه زيوس

الكــورس :

وهل يطيب لزيوس

أن ينهى اغلالك

أى أمل يبقى إذن أمامك؟

بروميثيوس !

لقد تجاوزت الحدود

نحن لا نحب ما نقول

ولا نبغى أذى لسمعك

هل تفكر فى طريق للخلاص؟

بروميثيوس :

النصح هين

وكذلك العتاب

على حرٍ طليقٍ

لا يكتوى

بما يعانيه المصاب

كنت أعلم هذا المصير

وأعلم أننى تجاوزت حد الحذر

نعم

أنا جلبتُ عليّ الشقاء

لكننى محبٌ لجنس البشر.

ما كنت أتصور هذا العذاب

مكتوباً لى على هذا الصخر.

خل عنكن الحزن لحالى

اهبطن على الأرض بجوارى

وتفرسن فى بشاعة أغلالى

هاتوا أحزانكن إلى جوار أحزانى

الحظ الأنكد على المسالك

ينقض تارة علينا

ويحط أخرى على قوم هنالك.

الكـــورس :

آذاننا لك صاغية

وقلوبنا مع عويلك باكية

ها نحن نهبط من جناح السماء

عن المسار المقدس للطيور

لنحط بجوارك على نتوء الصخور

نحن نتوق لسماعك حتى النهاية.

المنظر الثالث

(يدخل أوقيانوس ممتطياً مارد البحر وهو مِسْخٌ من وحوش المحيط)

أوقيانوس :

أنا قادم إليك

من مسافات

عبر الحدود البعيدة

لأراك يابروميثيوس.

أوجه الخطى طوال الطريق

على صهوة طائرى المجنح

أوجهه بالعقل

وأروضه دون لجام

أتفهم أيها الرفيق؟

إن قلبى حزين عليك

أخاف أن ابكيك

فلا أفيق.

وقرابتك لى

تجعل الوجعة

أنكى

تجعلنى أضيق.

وفضلا عن هذا وذاك

قدرك عندى كبير

وحبى لك

لا يصاغ بلفظ يسير.

قل لى كيف أعينك

وسوف ترى

أنه من بين الأوفياء

ليس من يفضل أوقيانوس.

بروميثيوس :

من ذا الذى أرى

هل قدمت أنت

أيضا إلى هنا

لتشهد ما نحن عليه

من عذابٍ وضنى؟

كيف تجرأت على هذا السفر

إلى هذه الأرض حديدية الصخر

تاركا من خلفك الموج الغزير

ومغارات الصخور والهدير!

ألتلقى علينا نظرة الأسى

تخفف مما نحن فيه من ألم؟

هيا حملق فى جناحى المهيض

وفيما حل بصديق زيوس القديم..

عاونته فى قهر العروش

أنظر الآن ما حلّ بنا

بأمر من ذاك الطاغية!!

أوقيانوس :

حقا

إن ما أبصره شيء رهيب

أتسمع لى نصحاً

رغم ذكاءك الرفيع؟

أفق إلى نفسك يا بروميثيوس

وبدل من طرائقك ولو بالقليل

فالجالس على العرش اميرا

سيد قاسٍ عتيد

وحاذر من اللفظ الغليظ

الذى يجرح كحد السيوف

آذان زيوس ممتدةً فى كل صعيد.

هو لا يعبأ بما تكابد

أفق صديقى ولا تعاند.

أيها الرفيق الحبيب

ليتك تكف عن لسان الغضب

ليتك تتدبر فى سبيل الهرب.

أظنك ترى فى نصحى العطب

هذا القصاص لا يطاق

ولكنك من معدن أصيل

ولن تستسلم للألم.

حذار من حمى الغضب.

ففيها المزيد من الإحَنْ.

هل أدلك على أبسط العِبَرْ

بروميثيوس! لا ترفس الإبر.

أنت تعلم أن الملك الجديد

عن عناده لا يحيد.

أنا ماضٍ بعد قليل

أتدبر كيف أفك عنك القيود

فاهدأ قليلا

فأنت ذو عقل رىيب

ألست تعلم أن اللسان الغضوب

يجر على صاحبه شتىٰ الكروب؟

بروميثيوس :

كم أنا احسدك يا أوقيانوس

فأنت ذو عقل حصيف

لمَ تجرأتَ وجئت

تشاطرنى الألم؟

إعْلَمْ

أننى لن أكون غير أناى

فلا تشغل البال بأمرى

اصنع ما ترى

ولكن زيوس إله عنيد.

واحذر أيها الصديق

لئلا يصيبك

نصيب من الخطر.

أوقيانـوس :

عجباً لأمرك

أنت تعرف كيف تنصح الآخرين

ولكنك فى هذا على نفسك ضنين

أنا لستُ كذلك

أقول لماماً،

الفعل عندى أهم بكثير.

أنا ماضٍ إلى زيوس

لعله يحطم تلك القيود.

بروميثيوس:

أنا لك ممتن بقدر كبير

وأثمنُ فيك الوفاء الأصيل

لا تثقل على نفسك

بما أنا فيه من عناء.

وساطتك لن تفيد

زيوس جبارٌ وعنيد.

أنا تعيس الحظ

ولست أبغى

تعاسة الآخرين.

إن قلبى يدمى

على مصير إخوتى :

هذا أطلس يقف
على أقاصى الغرب
ينوء بحمل
السماء والأرض
على كتفيه وحيداً
وبدون سند.
حمله لا تطيقه الجبال.
والآخر سجين فى قيليقا
فى قلب الكهوف
له مائة رأس
وشكله مخوف
تايفون الوحش الرهيب.
أذكر يوم هبَّ
ضد الأرباب
يزبدُ ويكشر
عن الأنياب
وعيناه تلمعان

كالغرغون
يزمجر وينتفض
فى جنون
ليسقط زيوس
عن عرش الطغيان.
ولكن صاعقة زيوس
انقضت عليه
أصابته بلظاها
وأذلت بقية كبرياء
كانت لديه.
أنت تعلم كل ذلك
ولست بحاجة
إلى المزيد
هذا الكأس
مقدرٌ أن أشربه
حتى الثمالة.
ولعل يوماِ يفيق

زيوس إلى الرشاد.

أوقيانوس :

أنت تدرك

يا بروميثيوس

أن الكلام الجميل

يداوى المزاج العليل.

بروميثيوس :

أجل، هذا صحيح

لئن كان الكلام

يخدم المقام.

ولكن ما جدوى الحذر

مع غضب تورم وانفجر؟

أوقيانوس :

قلت لى :

إننى عرضةٌ للخطر

هل بإخلاصى إليك

تجاوزت الحذر؟

بروميثيوس :

لست أرى فى كلامك

إلا جهداً يضيع.

أنت صاحب طبع ساذج

لا يخلو من الغباء الشنيع!!

أوقيانوس :

أهكذا ترانى إذن؟

خيرُ للعاقل حينا

أن يبدو للآخرين

كواحد من الحمقى.

بروميثيوس :

وهذا على ما يبدو

سوء ظن منا.

اوقيانوس :

بهذهالكلمات

لم يعد لنا هنا

من مقام

سأعود أدراجى الآن.

بروميثيوس :

أجل، فإنى أخشى عليك

ولست أبغى لطيب سجيتك

أن تجلب العداوة عليك.

اوقيانوس :

أتقصد عداوة الأمير

الجالس على العرش الكبير؟

بروميثيوس :

نعم، وإنه لصاحب قلب غليظ

ويجمل بك ألا تثيره.

أوقيانوس :

إن ما حلّ بك من أذى

سوف يكون لنا خير المعلم.

بروميثيوس :

هيا يا اوقيانوس

إليك عنى

وراقب ما تقول

أوقيانوس :

كلماتك تصادف عندى

آذانا مستجيبة

ها هو طائرى المجنح

يقلع إلى مسار السماء

لعله فرح يترنح

للعودة إلى الوراء

ليستريح من

رحلة مهولة.

إنشاد كورالى : (ستروفى) :

نعم، أنا أبكيك يا بروميثيوس

والأسى على حالك شديد

عيناى باتت

تبلل وجهى بسيل

من ينابيع الدموع.

قصاص الطاغية زيوس

قصاص رهيب

جاوز الحد وجافى

الآلهة الأقدمين

إنشاد كورالى مقابل (انتستروفى) :

الأرض جميعا تصيح عليك فى عويل

كل شىء جميل وعريق عليك حزين

والجموع على سقوط إخوتك اسفون

مواطن آسيا المقدسة حزينة

لما لحق بآلك من عذاب صعيب!

ستروفى :

يا أهل أرض خولكيس

أيتها العذارى

يا عشاق الحروب

يا أهل اسكيزيا

أيها الساكنون حول بحيرة مايوتيس

هنالك عند أطراف المسكونة

انتيستروفى:

يا زهرة العُربِ من الصناديد

يا حُماةَ القلاع الشُم

فى جبال القوقاز

أيها المحاربون البواسل

المتحرقون لملاقاة الوغى

أيها المتحفزون بسن الحراب

فى كل مكان.

ستروفى :

انظروا جميعا !!

هنا إله طريد.

نراه اليوم

فى ألم لا يطاق

مقيداً بأغلال من حديد.

كان من أفضل التيتان

ساعده امتد فى كل مكان.

واليوم ظهره يتقوس

من ثقل القيود

تجثم عليه جبال الأرض

تتهدده الرعود.

انتيسستروفى :

الموج يعوى وهو

يتكسر إلى زبد

والأعماق تصرخ

وهى تبكيك

وهيديس الظلمات

تنعاك من بعيد

وينابيع الزهور المقدسة

تدمع ندماً عليك

والكل - الكل عليك حزين.

بروميثيوس :

أنا لست صامتا

بسبب الكبرياء

لا، ولا بسبب العناد

يكون السكون.

إن قلبى يتمزق منى

وأنا أفيق

لما أنا عليه

وأدرك مهانة المآل.

هل تعلمون السر العظيم؟

من ذا الذى

أنصف الأرباب من قديم

من ياترى؟

من سواى ؟

لن أزيد الكثير

فأنتم تعلمون.

والآن اصغوا إلى :

كان البشر فى ضيق شديد

كنت آراهم شاردين

فحركت فيهم شرارة العقل

فصاروا مبصرين

أقول قولى هذا

لا طلباً فى الفخار

ولا منّاً على جنس البشر

ولكن حتى يبين الخير

الذى زرعته بغير حذر

كانت للبشر فى البدء عيون

ولكنها عيون لا تعرف البصر

وكانت للكل آذان

وما كانت الآذان تسمع أو تصيخ

وكانوا يتحركون

كأشباح نيام

وكانوا يعملون

ولكن دون وئام

وما كانوا يعلمون

كيف تقام البيوت

بقرميد تجففه الشموس

وما أفادوا من الخشب.

كانوا كالنمل الهزيل

يعيشون فى الجحور

فى بطن الكهوف.

وما كانوا يفرقون

بين الشتاء والخريف

ولا الربيع ولا المصيف.

كل أفعالهم كانت

تتم بدون حساب

فعلمتهم كيف

يرصدون النجوم

وقت الطلوع وعند الأفول.

وعلمتهم علم الحساب

فصاروا به يحسبون.

ثم علمتهم الحروف

فباتوا بالكتابة يتذكرون

وباللغة عرفوا

قواعد الحكمة والفنون.

وسخرت لهم الدواب

تعينهم على الحمل الثقيل.

وألجمت لهم الخيل

كى يمتطون..

وكشفت لهم

عن ركوب البحر

وكيف بالشراع يمخرون.

كل هذا كشفت عنه

لبنى الأنسان.

أما أنا

فواحسرتاه على أناى

تبخر حولى وخارت قواى

انظروا إلى ما صرت إليه

من مسامير ومن قيود.

الكورس :

معاناتك بالحق مأساه

أنت شارد الذهن أيها الإله.

أسَفٌ على طبيب الأسقام.

يقع فريسة للأوهام.

حار النطاسى

أمام السم الزؤام.

بروميثيوس :

هل تسمعون بقية الرواية.

هل أدلكم على بعض الأسرار :

فى القديم لم يكن

دواء لأى داء

لا من طعام ولا من شراب

ولا من مرهم للبلاء..

وكان الموت

يحصد المرضى حصادا

فكشفت لهم عن مزيج

بلسم لكل البلايا..

ثم نظمت القواعد لتفسير الرؤى

وفهم دلالات الصياح.

وحذرتهم من نذير النحوس

ومن نعاق بعض الطيور..

وبينت لهم علامات الفؤل والحبور

وفصلت لهم كيف يفرقون

بين مشاعر الحب والحقد الدفين.

وعرفتهم بأسرار الأضحيات،

نعومة أحشاء الذبائح،

الألوان التى تسر الأرباب،

جمال الحوصلة الرقطاء،

وعرفتهم كيف يشعلون

أفخاذ الذبيحة فى الشحوم

وكيف يدخنون سياق العظام

ليطالعوا عليها سر المجهول.

وبينت للناس معنى الرموز

وسر الشرر وقت الغسق.

وكشفت عما فى بطن الأرض من كنوز

من برونز وحديد وفضة وذهب.

هل هنالك من يدعى سبقا

علينا فى هذا الخصوص؟

كلمة واحدة تلخص الخطاب

كل ما عند البشر من فنون

من فعل بروميثيوس الطيب.

الكـــــورس :

لا تثقل النفس بأكثر مما تطيق

قدمت للإنسان ما فيه الكفاية

انت غافلٌ عن حالك فى إهمال شديد

إنك أن تحررت من هذه القيود

سوف تكون نداً لزيوس.

بروميثيوس :

لم يحن الوقت بعد

لتسمح الأقدار بالانعتاق.

سوف أتلوى آلاف المرات

تحت وطأة عذاب الوثاق

وبعدها سوف تتحطم القيود

أما الآن

فالحيلة عاجزة أمام ضغط الضرورة.

الكـــورس :

ومن ذا يا ترى

يحدد مسار الجبر والضرورة

بروميثيوس :

رباتُ الأقدار

مثلثات الهياكل

ومعهن الربات الحافظات،

من أرواح الغضب.

الكـــورس :

وهل زيوس

أضعف منهن مقاما ؟

بروميثيوس :

أجل، فزيوس بدوره

محكومُ بالقدر.

الكـــــورس :

وهل يخفى القدر

لرب الأرباب شيئا

غير حكم سرمدى؟

بروميثيـوس :

لن أبوح بشىء

أكثر من هذا

ولن استجيب

لتوسلٍ ومزيد.

الكـــــورس :

لعلك تحجب عنا

سراً دفينا

لا تود له

أن يفوح.

بروميثيوس :

سلونى عن أمور أخر

ليس هذا هو الأوان

ليفلت منى اللسان

هذا السر ينبغى ألا يذاع

فكتمانه هو ضمان الخلاص

من القيود والأغلال.

ستروفى :

ليت زيوس

سيد الكون

فى الأعالى

لا يسلط الغضب.

على صوابى

وليت الكسل

لا يعرف بابى،

ولا الغواية تحول

دون صلاتى

عند مذبح الآلهة

حيث تنحر الأضحيات،

على شطآن أوقيانوس.

ليتنى لا أنطق

باللفظ الأثيم

وليت عقلى لا يضل

عن الصواب.

انتيستروفى :

أجل

ما أحلى أن نرسم

للحياة صورة باسمة

وما أعذب للروح

أن ترضُعَ من غبطة الأمل.

على أننى أرتعد خوفا

إذ أراك تتلظى

فى عشرات الألوف

من صنوف الألم.

وليس لسبب خطير

إلا أنك تجاوزت

حدود الحيطة والحذر.

كيف لا ترتعد عند
ذكر اسم زيوس.
لقد ألحّ عليك
عقل العناد
يوم انعطفت
على بنى البشر
فتجاوزت كل الحدود
وأيقظت فى زيوس الضَجَرْ.

ستروفى :

لست أفهم حكمة فى حُنوٍ
ليس له مردودٌ من ثواب
أين منك الآن بنو البشر
وأنت تذوى لأجلهم فى براثن الخطر؟
أو لعلك لم تشهد بنفسك
ضعف هؤلاء البشر؟
هم كالشهيق فى لُهاث
الشَبَحْ.

العجز يشلهم من قديم الزمان

ويسوقهم من وراءه كالعميان

كيف لطرائق العاجزين

تناطح زيوس؟

انتيستروفى :

إن أوجاعك لا تطاق

يابروميثيوس

شفتاى تتمتم بلحن جنائزى

عليك

بلحنٍ مناهض لأنشودتى القديمة

التى أنشدتها يوم عرسك

على شرف عروسك

وحمام سُعدك

يوم فزت بهزيونى

من بنات جنسك

بفضل عبقريتك

يوم زفت العروس إليك

لتقاسمك فراش السعادة.

المنظر الرابع

(تدخل إيو وهى صبية ترتدى قرونا كالثور)

إيو :

أى أرضٍ هذى
وأى جنسٍ من البشر
ومن ذا الذى أراه
يتعزبُ على الصَّخْره
ثم ما الوزر الذى
من أجله يُحْتَضَرْ؟
هلا خبرتنى أىَ
نجع من نجوع الأرض هذا
الذى ساقنى إليه
الشتات الطويل؟

آه ثم آه ثم آه
ها هى تهاجمنى من جديد
لتلدغنى بسم من صديد
ذبابة النُعْرَةِ اللعين.
وهذا شبح أرجوس السفلى
يطاردنى من قريب ومن بعيد.
مَنْ يُبعد عنى الذبابة
من ينجنى من لدغ السعير
أيتها الأرض الحبيبة
إبعديها عنى ولو بعض حين.
كم أرتعد من رؤية أرجوس
ذاك الراعى بألف من العيون
إنه يطاردنى بعيونه العديدة.
أجل، لقد مات أرجوس
ولكن الأرض رفضته دفيناً
مازال يقفز من العالم السفلى
ليعذبنى على الشطآن وفى السهول
مزماره العرجون يطن
يطن فى أذنى بأزيز النعاس..
إلى أين يقودنى المصير
لقد طال علىَّ المسير..

أيّ ابنَ كرونس، أى زيوس
أيّ ذنبٍ جنيت، أيها الأمير
حتى تكبلنى بمثل هذا النير
من الشقاء ومن السقم؟
أى ذنبٍ ارتكبتُ حتى
تطاردنى الذبابة اللعين
وتدفعنى إلى أعتاب الجنون؟
هيا إلقْ بىَ فى النار
أو فى باطن الأرض
أو إلى الوحوش
لكن لا تمنعنى من الدعاء
إليك أيها الملك الكبير!
لقد خارت قواى
من اللهاث والوجل
لا منجاة أمامى، ولا أمل.
هل هناك من يسمع صوتى
صوتَ الصبية ذات القرون؟

بروميثيوس :

أجل!
أنا أسمع صوتك
هذا صوت ذات القرون

طريدةِ ذبابة النُعرة
ابنة الراعى ايناخوس.
أنت تَلك الصبية
التى أججت قلب زيوس
بنار الحب والوله..
والآن أنت الفتاة الشرود
تطاردك هيرا الحقود!!

إيو :

كيف تذكر اسم أبى
قل لى : من أنتِ
كيف تعرف ما حلّ بى
أنت تعلم اسمى، وبه تنادى
أنت على علمٍ إذن بأصفادى
وبعذابٍ يضاف إلى عذابى..
اللدغ كالشوك يضنينى
فأفر والتجوال يُعيينى
أولول من الجوع فأجرى مستجيرة
أنا ضحيةٌ للحقد وللغيرة..
أعرف أن الكثيرين قبل زمانى
شربوا من كؤوس الندم.
وليس عذابهم كعذابى..

قل لى إن كنت تدرى
هل من هموم أخرى ستلقانى
وإن كنت تعلم الغيب :
هل من شفاءٍ لأسقامى
خبرنى. فأنا
صبية حزينة
تهيم على وجهها
تهيم على غير أمل.

بروميثيوس :

سأقص عليك الشيء الكثير
وأفصل لك ما تبغين
لا ألغاز عندى
هل تسمعين؟
عندى لك حديثٌ
من صديق إلى صديق
أنت تبصرين أمامك
بروميثيوس الأسير
الذى قدم النار
إلى جنس البشر.

إيو:

أيتها الروح المباركة

أيها الخير الذى

أطل على بنى البشر

بروميثيوس أيها المسكين

لمَ نزل عليك القصاص؟

بروميثيوس :

منذ قليل انتهيتُ

من رواية مأساتى..

إيو :

هلا رويتها علىَّ من جديد

بروميثيوس :

لكِ ما تبغين

إيو :

من سمّر جسمك

فى هذا الصَخَر؟

بروميثيوس :

الخطة من عند زيوس

واليدُ لهيفايستوس

إيو :

وما الوزر الذى

استوجب العقاب؟

بروميثيوس :

يكفى ما رويت عليك

إيو :

هلا خبرتنى إذن

إن كان لشرودى من نهاية؟

بروميثيوس :

خير لك ألا تعرفين

إيو :

أتوسل إليك

ألا تحجب عنى

ما هو مكتوب على الجبين.

بروميثيوس :

أنا لا أحجم عن الخبر

بخلاً منى

ولكن إشفاقاً عليك.

إيو :

وفيمَ يفيد الحذر؟

بروميثيوس :

أخشى أن تتحطم روحك

إن صدمت بخبايا القدر.

إيو :

كلا، تكلم

فهذا يريحنى

بروميثيوس :

مادمت على ذلك تصرين

فلكِ ما تبغين

أرهفى آذانك إذن :

الكـــورس :

ليس بعد يابروميثيوس

نحن أيضا لنا نصيب

دعنا نسألها قبلاً

عن بعض التفاصيل

ثم بعدها هاتِ ما عندك.

بروميثيوس :

عليك يا إيو

أن تستجيبى لنداء

هذه الأرواح

فهن أخواتٌ لأبيك

ولعلك وأنت تقصين أحزانك

تثيرين دمع السامعين.

إيو :

لا مانع عندى
من كشف الأسرار..
وإن كنت عندما أتذكر
مأساتى عبر السنين
أجأر أنيناً وراء أنين
على جمالى الذى
عصفت به ريح الشياطين..
كم أتعذب إذ أذكر
هذا الخراب.. وذاك اللعين..
فى البدء كانت تطاردنى الرؤى
تتسلل إلى مخدعى البكر
فى كل مساء،
ولا تحدث عن وسوسة
المعسول من الكلام
عن لفظ إطراء وقول ثناء :
«أيتها البكر الجميلة
حتى متى تبقين غشماً عذراء
فى وسعك إن رغبت
الزواج من سيد الأمراء
زيوس يهيم بك حبا

فى الخفاء..
قلبه على نار أيتها الحوراء
هو يود أن يشاركك
هذا الفراش وعين الغطاء..
لا تأنفى عن حبه
حذار من الازدراء..
هيا يا حبيبتى الحسناء،
إقصدى إلى مروج ليرنا الخضراء
هنالك العشب الغزير
هنالك خرير الماء
وقطعان أبيك تمرح
فى وسع الخلاء..
هيا، هيا حتى تهدأ
عيون زيوس من صبابة وعناء.
باتت الرؤى غصتى وعلتى
أما النوم فقد ودع مقلتى.
وتلمست قدراً من الشجاعة
وحدثت والدى بِمُصيبتَى..
أرسل أبى إلى بيثو الوفود
وإلى دودونا يستلهم الرشاد
ليستدل عما قد يرضى

رب الأرباب..
وعاد الرسل بوابلٍ من الألغاز
وأخيرا نطق الوحى بالآتى :
أى إيناخوس الراعى
عليك أن تلقى بالصبيه
خارج الدار ووراء الوطن
طريدة وحيدةً عارية القدم
لتطوف هياماً إلى الأطراف..
وعليك الامتثال والطاعة
وإلا جاء القصاص :
صاعقة زيوس تبيد الحرث والنسل..
هكذا نطق لو كسياس
وهكذا حكم زيوس.
وكان على أبى أن يطيع
وهو،إذ يطردنى ويوصد الأبواب
يودعنى بالدمع، بدون عتاب
وقلبه يتقطع من هذا العذاب..
ولما ولجتُ البرارى
تبدل شكلى، ومُسِخَ جمالى
ثم نبتت على رأسى
هذى القرون..

وتلقفتنى ذبابة النُعْرةَ
تطاردنى .. تلسعنى فى جنون
فوليتُ قبالةَ نهر كرشنيا
ومنه إلى ينابيع لرنا
طلباً فى اطفاء الظمأ
وإذ بأرجوس الراعى الغضوب
يتعقبُ خطاى..ولا يؤوب
وبعيونه اللانهائية
يتجسس على مسارى
وفجأةً انقضَّ عليه الموت فأرداه
ولكن بطن الأرض رفضته نزيلا..
وأنا أجد من فرار إلى فرار
هروباً من ذبابة النُعْرَة
وكم من بلادٍ عرجْتُ عليها.
تلكم هى حكايتى..
ليتك تنبئنى بما
يخفيه لى القدر
من أمور أخَرْ
قل لى قول الصدق
ولا يأخذنك عطفُ..
لا ترق..

ليس أوجع على قلب الغريب
من زخرفٍ مغلفٍ بالأكاذيب.

الكـــورس :

إيو.. أيتها الحزينة
ليُتك تكفين عن الكلام
ما سمعنا بمثل هذا الألم.
هذا شقاء ليس مثله شقاء
يؤذى السمع والعين سواء
مِسْخُك يزلزل الروح
هذا أنكى من فعل الجروح
نحن نرتعد من منظر إيو
يا حسرتاه، ويا ويلتاه
على ما أصاب هذه الفتاة.

بروميثيوس :

هذا قليل من كثير
اسمعوا إلى ما سوف يكون.

الكـــورس :

تكلم، أكمل علينا الرواية
المصابُ يستعذب سماع النهاية.

بروميثيوس :

أما وقد تحقق الطلب

وعلمتم من الصبية العجب
اسمعوا الآن ما ستلقاه
على يد هيرا الحقود..
هل تنصتين يا ابنة ايناخوس
إصغ إليَّ جيداً
وليكن قولى منك فى موضع القلب
هذا مصيرك مع كتاب القدر :
اتجهى قبالة مشارق الشمس
واقطعى هاتيك الحقول التى
لم يخطها محراثٌ ولا فؤوس
حتى أرض إسكيزيا
هناك قوم يعيشون
فى بيوت من الغصن المجدول
ويسوقون عرباتهم على عجلْ
وهم أهل سلاح وقتال
يعرفون القوس والرماية من بعيد..
لا تقربى القوم
سيرى بمحاذاة البحر والزبد
حيث يتكسر الموج فى آنين
وبعد عبور هذا البلد
تصادفين أهل كاليب

قوم يعرفون معدن الحديد
واحذرى هؤلاء القوم أيضا
فهم أهل غِلْظَة مناكيد
ولا يحبون الغريب.
وبعدها تأتين إلى نهر «الوقاحة»
وإسمه ليس فى حاجة إلى شروح
لا تعبريه - إمضى إلى مشارف القوقاز
حيث تشمخ أعالى القمم
التى تغذى ذاك النهر الكبير
تجاوزى تلك القمم
التى تناطح النجوم
ثم انثنى صوب الجنوب
حتى أرض الامازون
تجدين القوم جميعا من النساء
الكارهات لصنف الذكور
حول ثيرمودون وتيمسكيريا
حيث يرابط سالميديسيوس
الفك الصخرى للمحيط
يقف هنالك يتحدى الملاحين
كزوجة الأب للسفين..
الأمازونيات سوف يرشدنك

فى المسير حتى
مشارف كميريا والخليج
على بوابات البحيرة الكبيرة..
ثم أعبرى قنال مايوتيس
وسوف تغدين حديث البقاع
ويطلق اسمك على نقطة العبور
فتسمى مخاضة البقرة أو البسفور
وهكذا تعبرين
من أوربا إلى أرض آسيا
(ثم يلتفت بروميثيوس مخاطباً الكورس) :
تعلمون الآن
قساوة الطغيان
إلهكم زيوس
يراود صبيةً من البشر
ثم يجلب عليها العار
كيف يطاق هذا الزواج
أيتها العذراء البتول؟
ما حدثتك به إن هو
إلا فاتحة الكلام..

إيو :

ندمى على حظى كبير

آه ثم آه ثم آه..

بروميثيوس :

ها أنت تولولين

كيف يكون الحال

مع بقية المكتوب؟

الكـــورس :

هل لازال عندك

للصبية من بقية؟

بروميثيوس :

بحرُ من الهموم والندم

بحرُ يجأر من شقاء الظلم.

إيـو :

ما قيمة الحياة فى هوان

لمَ لا ألقى بنفسى

من رأسٍ صخرة

فتردينى لطمة الأرض

وتخرس آلامى إلى الأبد.

بروميثيوس :

وماذا تقولين فى حالى

أنا من ضنت عليه الأقدار

بالموت..

أجل، فى الموت خلاصُ من الشقاء.

الكـــورس :

إن كانت هنالك بقية
قلها إذن للصبية
وإن كنت أتممت المقال
فلا تبخل علينا بالسؤال

بروميثيوس :

إيو :
أنت تعلمين هدى الأمور
سأكشف لك
ما ألمَّ بكِ قبل الوصول
سأسقط بعضاً من الخبر
وسأهتم بصلب القضية :
تذكرين وصولك
إلى سهول مدلوسية
من وراء دودونا
فى الأرض القصية
حيث ينتصب
عرش النبوءات
هنالك يقف شجر البلوط
يحاجى وينطق بالكلمات

تماما كالبشر عندما يتسامرون
شيء محيرٌ.
لا تصدقه العقول.
هل تذكرين ذاك المكان؟
وكيف نادتك أشجار السنديان
تزفك لزيوس عروساً
بكراً تزَفُّ للهوان
هل فيما أقول افتئات
هل أيقظت فيك
وجع الذكريات؟
وبعدها هاجت حومات الذباب
تنهشك بنهم كالذئاب
فهربتِ قبالة خليجٍ رياءً
لتردك عنه عاصفة للوراء
هذه البقعة تسمى اليوم
ايونيا الهوجاء..
إنها تحمل اسمك من ذاك الحين
تذكاراً لزفافك المهين
هذا أقوله للبرهان
على صدق هذا البيان.
بروميثيوس يستشف

ما وراء المنظور.
والآن، لك وللآخرين
أواصل ما قطعت منذ حين :
فى مدينة قاصية
تدعى كانوب
عند مصب النيل العظيم
هنالك تمتد يد زيوس
لتمسسك بمس العافية
وبعدها سوف تبرئين
ثم تلدين غلاما
أسود البشرة
ويدعى ايبافوس
واسمه يعنى
«لمسة زيوس بالحَبَلْ»..
وسوف يجنى هذا الغلام
حصاد أرض النيل الكريم
وتنحدر من صلبه
خمسة من الأجيال
خمسون فى العدد
وكلهن من الإناث
أراهُنّ يسرعن فى الهرب

إلى ساحات أرجوس
فراراً من الزواج
بذكور من نفس الرَحِمْ
والذكور من ورائهن يركضون
كالصقور أسرع من طير الحمائم
فى هياج للزواج من المحارم
ويتم الاغتصاب الحرام.
وهنا تتدخل الأرباب :
لتكيد للرجال الذئاب
وتحرمهم من أجساد الرافضات
ويدور الصراع تحت ستر الظلام
والنسوة محجمات
يقاومن فجور الرجال اللئام!
وذات ليلة تمتد الخناجر :
أنصال النساء على الرقاب الغلاظ
عدا واحدةً منهن تخاتل
تقع فى غرام شريك الفراش
فتبقى عليه دون مساس
وتجلب لنفسها الخزى والعار :
هذه الفتاة ستلدُ
نسلاً من الملوك

ومن رحمها يتحدر
بطل فى الرماية بالسهام
هذا البطل يحطم عنى القيود!!
هذا أمر شرحه يطول
ولن يفيدكم فرط الفضول.

إيو :

يا ويليتى - يا ويلتى
الحمى تزحف إلى عروقى من جديد
والنوبة تشل كيانى
والجنون يعصف بصوابى
والذبابة النعرة تعود
لدغتها كسن من حديد
لم يُسْنَّ جَمر الوقود.
قلبى يدق على صدرى فى هلع
والدوار يغشى ساحة البصر
وأنا أترنح إلى مدارج الجنون
ثورة الخبل تزلزلنى، ولسانى يجمح منى
يزبد ويربد ويصيح
بوابل من اللفظ القبيح
على موجة الخزى والعار..
يتناثر ذات اليمين وذات اليسار

ستروفى :

العاقل يسمع ويعى

مغزى ما أقول :

ليس أفضل عند الزواج

من شريك من نفس المقام

ولتحذر المتواضعات من البنات

الاقتران بعلية الرجال

لا يغركن الجاه أو النسب

عند طلب الوصال.

انتيستروفى :

أبداً أبداً

ليتك لا تسمحين

ياربة الأقدار

فى الأعالى

لعبدتك البتول

أن تساق إلى مخدع زيوس

فتدنسَ على فراش الفجور

نجنى من شهوة الملوك

إنى أرتعد فى خوف شديد

إذ أحملق فى إيو الحزينة :

لقد تهتكت منها الطهارة

وذبحت غلالات البكارة

بأيدى الآثمين

ثم ها هى تهذى فى جنون

على غير هدى

آه من حقد هيرا الدفين!!

(نشيد غنائى)

الزواج رباط التكافؤ

والوفاق عهد المحبين

هذا شرط النجاح

للقران النظيف

لعل عيون السماء

تغفل عن وجودى

وأبقى فى الخفاء..

ليتنى لا أجبر على الهوان

أعاف التجربة أخشى الامتحان

عزلاءُ مثلى كيف تصُان!!

لئن تملكَ زيوس الغضب

لا منجاة لى، ولا هَرَبْ.

بروميثيوس :

زيوس

هذا الجبار

متورم القلب

قسماً سوف يُذَلّ..

خطته فى الزواج

تقربه من المحتوم

سوف يزاح عن السلطان

ويزلزل من فوق كرسيه

ثم يتوارى عن العيون

هكذا تكتمل لعنة كرونوس

الأب المخلوع

على الابن المارق الملعون

لا أحد من الأرباب سواى

يستطيع ردَّ الخطر

فأنا أعلم السر المكنون

فليجلس هانئا على عرش السماء

متكئا على عصا الرعود

يلوح بصواعق النار

كل هذا لن يقيه

من السقوط المهول

زيوس يعد بيديه

من سينقض عليه

بسلاح أمضى من الصواعق

برمح مثلث الشعاب

رمح پوسيديون

قاهر البحر والبر

ويوم سقوطه الموعود

يدرك زيوس

الفرق بين السيد والمسود.

الكـــورس :

أنت تصور ما تتمناه

لتحطيم عرش الإله.

بروميثيوس :

نعم، إنها أحلى الأمانى
ولكنها واقعة لا محال

الكـــورس :

هل نفهم من كلامك
أن شخصاً يقهر زيوس؟

بروميثيوس :

أجل، ولسوف يعانى
معاناة تفوق أغلالى.

الكـــورس :

ألست تخشى ما تقول؟

بروميثيوس :

الخوف لا يعرف طريقى
والموت ليس من نصيبى.

الكـــورس :

زيوس قد ينزل عليك
ألماً انكى من هذا الألم.

بروميثيوس :

ليفعل ما يشاء
أنا أهل لكل المحن.

الكـــورس :

من الحكمة الآن علينا
أن تقدم الصلاة
للرب.. لادراستيا »

بروميثيوس :

هيا اعبدوه
وارفعوا الصلاة إليه
ثم داهنوه
فهو الملك الإله
أما أنا فلست معكم
ولست من المصلين عليه
فليفعل زيوس ما يحلو إليه
وليتربع مليكاً لبعض حين
فلن يدوم العرش له.
انظروا - هذا رسول زيوس
قادم علينا
لنرى ما يحمل من أخبار إلينا
من الملك المهيب.

المنظر الخامس

هرميس (الرسول) :

أنت!

أيها الروح الخبيثة

أيها المتهور اللدود

أيها الآثم

فى حق الخالدين

يا صديق الهالكين

يا سارق النار اللعين!

الأب يأمر بأن

تفصح البيان

فى سر هذا القران

الذى يفقده

العرش والصولجان...

نريد الاعلان الصريح

دون طلاسم وألغاز..

أى بروميثيوس

لا تكلفنى العناء

برحلة أخرى إليك

(ثم يشير إلى الأغلال) :

لعلك تعلمت منها

أن زيوس سيد عنيد.

بروميثيوس :

صوتك يدوى خُيَلاء

ونبراتك ترقص بكبرياء

أجل !

هذا يليق بخدام الملوك

الأدنياء.

أنت حَدَث صغير.

وحكمك كعمرك غرير.

أو تظنن أن

برجكم فى الأعلى

بمنجاةٍ من الخطر؟

اسمع يا هرميس :

عاصرت اثنين من الطغاة

ورأيتهما يتهاويان

والثالث يجلس الآن

وسوف يسقط عما قليل

وأنا شاهد العيان

ومن بين الطغاة الثلاث

يكون سقوط الأخير

مدعاة للخزى والعار.

أتظن أننى أتذلل لآلهتك

أو أرتعد خوفا أمام أجنحتك!

أنا لست من معدن الخائفين.

عُدْ أدراجك أيها الرسول

على نفس الدرب القديم

لا ردٌ عندى على السؤال.

هرميس :

العناد جُرك إلى هذا الصَخَرْ

ومع العناد تبقى أسير.

بروميثيوس :

أقول لك شيئاً :

لو أننى خُيرتُ بين

أصفادى فى الحديد

وبين حياتك،

حياة العبيد

ما رضيتُ بالبَدَلْ

هرميس :

يبدو من الأفضل عندك

أن يكون الواحد عبداً لهذا الصَخَرْ

عن أن يكون رسولاً فى خدمة زيوس.

بروميثيوس :

الأحمق لا ينطق بغير الحماقة.

هرميس :

لعلك تجد ما أنت فيه من حال

ناعماً ومريحاً للبال

فابق كما أنت إن أردتْ.

بروميثيوس :

تقول «ناعماً»!

ليت أعدائى مثلى يقيدون

إعلم أنك

واحدٌ من هؤلاء الأعداء.

هرميس :

تباً لكَ!

أتلومنى على ما أصابك من مصائب؟

بروميثيوس :

فى كلمة واحدة

أنا عدوٌ لجميع الأرباب

طبع الخير عندى

يُقابل منهم بالشرور.

هرميس :

كلماتك تنم عن الجنون

هذا جنون بحق.

بروميثيوس :

فلتصفنى بالجنون

إن كان الجنون

يعنى كره الخصوم.

هرميس :

أنت لا تطاق يا صاح

لا أمل لمثلك فى الصلاح

بروميثيوس :

يا للخسارة!!

هرميس :

زيوس لا يعرف هذه العبارة.

بروميثيوس :

مسار الزمن الطويل

يلقننا خير الدروس.

هرميس :

ولكنك لم تتعلم من الزمن

ولا تعقلت من دروس المحن.

بروميثيوس :

صدقت!!

وإلا ما سمحت لنفسى

بالحديث مع واحد من الخدم.

هرميس :

أفهم أنك ترفض لزيوس الطلب

بروميثيوس :

يسعدنى ألا تشملنى

منة منه أو أرب.

هرميس :

أنت تسخر منى

وكأنى صبى صغير.

بروميثيوس :

بل أنت بالحق صغير

أراك أغبى من الصغار...

أو تظننى أدلك على الأسرار؟

لو أن زيوس حشد ما لديه

من إرهاب وعتاد

فلن أبوح إليه بشىء

حتى يرفع عنى هذه الأصفاد.

دعه يقذف لهيبه

من رعد ودخان

دعه يزلزل الأرض،

بركام الثلوج بالطوفان..

ولكنى لن ألين

ولن أخبره بالسر الدفين.

ما قدرته الأقدار يكون

سيطردُ من عرش الطغيان!!

هرميس :

تدبر الأمر ملياً

تعقل فيما تقول.

بروميثيوس :

قد عقدت العزم

ولن أبوح بشيء!

هرميس :

ليتك تروض قلبك

وتهتدى إلى الصواب

بروميثيوس : لك روح حمقاء

وأنت تواجه الدمار.

بروميثيوس :

أنت تثير فى عظامى الغضب

إلحاحك يدعو إلى العجب.

أنت كمن يسدى.

النصحَ للموج فى زَبَدَ.

أو تظن أنى أتقلب،

كما تتقلب النساء

فى اتخاذ القرار؟

أو أننى أتوسل إلى الإله

بيدين مغلولتين

كما تفعل بنات حواء..

ضارعاً لزيوس

ليرفع عنى البلاء.

كلا ثم كلا يا هرميس

أنا لست من هذا العجين

هرميس :

طال حديثى معك

وكان من العبث الحديث

أنت مصرٌ على العناد

وعن رأيك لا تميد

أنت كمهر جامحٍ

يعض على شكيمة من حديد

أنت تثق أكثر مما يليق

فى ذكاءك الحبيس.

خطيئة العناد

لا تليق بالعقل الحصيف

تأمل فيما قد يحل بك من عقاب

فكر فى العاصفة، فى موجات العذاب

ما لم تستجب لنداء زيوس :

بروميثيوس !

ليس لك من مهرب ولا ملاذ

زيوس سيضربك بالبرق والرعود

فينشق عليك هذا الصَخَرْ

وسوف تبتلعك حِضْنة من الحجر

فى جوفها لردح من الزمن

قبل أن ترى النور من جديد

وينقض كلب زيوس المجنح عليك

ذاك الصقر الأحمر العنيد

لينهش لحمكَ كما ينُهشُ القديد

وهو يعود عليك فى كل يوم

كمزاحم يتخاطف في وليمة عيد
وكبدُكَ يتقطر سواداً كلون العبيد..
وليس لهذا العذاب من نهاية
حتى يَعِنَّ واحد من الأرباب
يحمل عنك هذا العذاب
وينزل طوعاً إلى ظلمات هيديس
وإلى متاهات تارتاروس.
تمعن جيداً فيما أقول
ليس هذا حديث افتخار
ولا هو بتلفيق الصغار
ما أقوله لك هو الحق
فمُ زيوس لا ينطق بالكذب
وهو صادق الوعيد..
أفق قبل فوات الأوان
ما كان العناد يوماً أفضل
من الرَشَدْ.

الكورس :

كلام هرميس لا يخلو من الصواب

بروميثيوس؟

لمّ لا تتخلى عن العناد

وتثوب إلى صوت الرشاد ؟

استمع إليه على عجل

عار على العاقل أن

ينساق وراء الخَطَلْ.

بروميثيوس :

كنت أعلم رسالة زيوس

قبل أن يفد إلينا رسوله

لا يشين المرء أن

يقاسى على يد عدوه :

فلينزل عليّ صواعق البرق

وليفجر الهواء بزلزال الرعود

ولتجتح الكونَ ريح الأذى

ولترتعد الأرضُ من قاعها

رأسا على عقب..

ولتأت العاصفة من بعدها

لتسدّ مسار النجوم

ولينقلب موج البحر

إلى إعصار مجنون

وليرفع جسدى إلى علو

كما يريد

ليقذف به إلى تارتاروس

دوامة تطحنها دوامات..

ليكن كل هذا وذاك

لكن زيوس لا

يملك عليّ حق الممات.

هرميس :

هذا كلام محموم

انتبهوا!

أيها الباكون على بروميثيوس

انصرفوا من هنا على التو

قبل أن تجرفكم موجات الرعد

ها هى تتناهى

بزئيرها الرهيب.

الكورس :

تحدث إلينا كما يليق

نحن لا نقرك على اسلوب الوعيد

ولن نسلك كوضيع أو حقير

لن نتخلى عن بروميثيوس البطل

سوف نبقى إلى جواره لا نحيد

لنلقى معه نفس المصير

نحن نعاف رائحة الخيانة

ونبصق على الغدر الخسيس!!

هرميس :

تذكروا إنذارى لكم
قبل أن يحل الهلاك
لا تلوموا الحظ وأنتم
تُطوقون بالشراك...
عندما تهب ريح الفناء

زيوس منها برىء..
الغباء يجركم إلى الهلاك
فى شباك ليس منها نجاة.

بروميثيوس :

لم يعد للكلام مجال
ها هى الأرض تترنح
والرعد يرضها من الأعماق
كواكب الجمر تبرق من بعيد
والسحاب يجرف غلاف الغبار
والريح ترقص فى غضب عنيد
والبحر يبتلع اليابس فى هياج
تلكم هى عاصفة زيوس الإله
تنقض علىّ أنا الأسير
أيتها الأم المقدسة
أيتها السماء المنيرة
إشهدا علىّ وعليه :
أنا إله فى القيود
أتعذب لا أذود
أهلك اليوم
أجل، ولكن
غداً سوف أعود!!!

التعليق

لفهم مسرحية بروميثيوس فى الاغلال ينبغى علينا أن نلقى الضوء على عدة نقاط تتصل بالعقيدة أو العقائد اليونانية، وبشخص زيوس الطاغية الذى غدر بالبطل بروميثيوس، وأيضا بربات الأقدار.

لقد جسد اليونان القدامى قوى الطبيعة وظنوا أنها تؤثر فى مصائر البشر. وهذه القوى إما أنها كونية كالسماء والأرض، وإما أنها محلية كالأنهار والينابيع والأشجار. وأعتقد اليونان الأولون أن هذه القوى تملك القدرة على جلب الخير والشر على كافة البشر.. ومن هنا لجأ الناس فى مختلف مستوياتهم إلى ممارسة طقوس متعددة لجلب الرضا أو لإنزال السخط على الخصوم. ويمكن القول أن هذه الطقوس تتضمن عمليات السحر أبيضه وأسوده جميعا. ومن هذه المعتقدات الفجة تولدت أفكار خطيرة عن الأشياء المحرمة والملعونة وأيضا المحارم. وقد استتبع هذا الاعتقاد فكرة «التطهر» من الدنس الذى قد يعلق بالإنسان إن هو عصف بواحدة من هذه المحرمات. ومع هذه العقائد أيضا ظهرت قناعة

اليونان بأن الموتى يواصلون الحياة فى قبورهم مع تملكهم مقدرة توازى نفس المقدرة التى كانوا يتمتعون بها قبل الوفاة. وكان القدامى يعملون على استرضاء الموتى بتقدمات يحملونها إلى القبور. كما أنهم كانوا يقيمون احتفالات سنوية خاصة لاستقبال الموتى فى بيوتهم ضيوفاً، مع إعداد كافة الأشياء التى كان المتوفى يحبها أثناء حياته من طعام وشراب وملبس. وبعد انتهاء مراسم الضيافة والحفاوة، يطلب أهل الدار من «الميت» أن يغادر الدار مشكوراً!!.

ومن الاعتقاد فى خلود الموتى، عرف اليونان عبادة البطل، وكانوا فى وقت الشدة يقومون بصلوات خاصة لدعاء البطل للمساهمة معهم فى مواجهة المصاعب التى تلقاهم. والواقع أن غالبية هذه العقائد الفجة قد حملها الهلينيون معهم عند هجرتهم من الشمال إلى بلاد اليونان فى الجنوب ويتضح هذا من ملامح الإله پوسيديون على سبيل المثال، إذ يجمع بين رمزه الشمالى كحصان وبين رمزه اليونانى كسيد للبحار.

ويرجح الدارسون وجود جذور ضاربة فى القدم فى العقائد اليونانية، ترجع إلى حضارات المينويين والميكانيين. كما وأن بعض الأرباب قد وفدوا مع الأجانب والعبيد الذين قدموا إلى بلاد اليونان، مثل أبوللو ودايونيسيوس.

وإذا ما وصلنا إلى زمان الشاعر هومر (قرن ١٢ أو قرن ٩ ق.م؟)، نجد تطوراً يطرأ على العقائد اليونانية: إذ تأخذ آلهة اليونان تجسدات بشرية من ذكر وأنثى على حد سواء.

وعند هومر أيضا نجد جماعة الآلهة تسكن فى قمة جبل الأولمب.

ومن هذه القمة يدير الأرباب وكبيرهم زيوس دفة الكون. ولكنهم رغم ربوبيتهم يخضعون جميعا للمقدر والمكتوب : فالقدر هو القوة الأعظم التى تتحكم فى مصائر الآلهة والبشر جميعاً. وهنا يتضح العجز النسبى لآلهة الأولمب فى مواجهة المحنة الكبرى ألا وهى القدر. ويلاحظ أن أحكام جماعة الأولمب من الأرباب لا تخضع لمعايير أخلاقية، إذ يصرفون أمور الكون وفق أهوائهم الخاصة ونزواتهم ومن ذلك ما وقع بين زيوس وبروميثيوس مثلاً. كذلك كثيرا ما تصطدم رغبات الأرباب وينشب الصراع فى بيت الأولمب، وعلى كبيرهم زيوس أن يفض الاشتباك!!

ومن أجل إرضاء نزوات جماعة الأولمب، كان لزاماً على بنى البشر أن يقوموا بالصلوات وتقديم القرابين والاضحيات لهم اتقاء لطباعهم المتقلبة والمتعطشة فى أغلب الأحوال إلى رائحة الدم.

ويرجع الفضل إلى الكتاب والشعراء الأقدمين إلى إضفاء لمسات أخلاقية على أرباب الأولمب فلصقوا ببعضهم صفات كالعدالة والتقوى والرحمة. ومن ثم ظهرت فكرة مثول الروح أمام مجمع الآلهة للدينونة بعد الموت. ومع هذا التطور أخذت التجسيدات الحسية البشرية للأرباب فى التوارى، لتحل محلها الأفكار التجريدية عن الآلهة وكبيرهم.

وفى مرحلة لاحقة ظهرت عقائد دينية ذات طابع سياسى، من قبيل ذلك تأليه الملوك ورفعهم إلى مصاف الأرباب، مثلما حدث مع الاسكندر الأكبر المقدونى (قرن ٤ ق. م)، وديمتريوس الأول فى آثينا. وقد ورث الرومان هذا المبدأ عن اليونان، فتأله كل من يوليوس قيصر واكتافيانوس أغسطس.

إن هذه العقائد مستقاة فى مجملها من الأساطير الموغلة فى القدم والتى تسبق عصر الشاعر هومر. وقد وردت تفصيلات لهذه الميتولوجيا فى كتابات العمالقة هومر، وهزيود وبندار، وكذلك عند أعلام مدرسة الاسكندرية من أمثال الشاعر كاليماخوس. وفى هذه الأساطير الباكرة تُصور الأرض مسطحاً منبسطاً تحيط بها المياه من جميع الجهات، وهكذا تلتقى بالاوتيانوس أى المحيط.. وتعلو الأرض قبة كبرى تظللها هى السماء، والتى جعلها اليونان من البرونز أو الحديد.. أما العالم السفلى فقد أطلقوا عليه تارتاروس، وهو أرض الندم والقصاص للمغضوب عليهم.

وأرباب اليونان يتجمعون إما فى السماء أو على جبل الأولمب، وكبيرهم هو زيوس. وبينما يرد زيوس عند هومر كأكبر الآلهة سناً، نجده فى أغلب المصادر الأخرى أصغرهم سناً.

وزيوس ابن للإله كرونوس ابن أورانوس. وتقول الروايات أن كرونوس تلقى تحذيراً بأن واحداً من أبنائه سوف يتمرد عليه ويخلعه عن العرش. وعليه فإن كرونوس الأب كان يبتلع أولاده الواحد بعد الآخر وقت مولدهم وعلى التو. وانزعجت زوجته «ريا» من سلوك زوجها الرهيب. ولما أن أنجبت زيوس، استعانت بجماعة المردة والعمالقة ونفراً من الجبارين أصحاب العين الواحدة المعروفين باسم «كيكلوبس» وبالإلهة تيميس وابنها العملاق بروميثيوس لإخفاء ابنها زيوس، وللتصدى لوحشية كرونوس. ونجحت المؤامرة، وسيق كرونوس وانصاره إلى أعماق الظلمات فى تارتاروس.

واسم زيوس مشتق من جذر يونانى بمعنى «اللامع»، ومن صفاته أيضا «الرب الذى يضىء فى السماء»، وهو أيضا سيد الفصول الأربعة.

ويروى أن زيوس قد ولد فى أركاديا ثم نقلته أمه إلى جزيرة كريت لإخفاءه من وحشية أبيه كرونوس، الذى إن عثر عليه فسوف يبتلعه لا محالة. وقد أخفى فى جبل يدعى «دكته» أو «إيده». وفى حين أن الماعز آمالثيا كانت تقوم بإرضاعه، راحت جماعات «الكيوريتيس» ترقص ليل نهار وتغنى غناءً صاخباً، وهم يقرعون السيوف فى جلبة زائدة، وذلك حتى يغطوا على صراخ الطفل الرضيع طيلة فترة طفولته الباكية، وحتى لا يعرف كرونوس موقع إخفاءه.

ولما أن شبّ زيوس عن الطوق وتربع على العرش، قسم الكون بينه وبين إخوته : فاحتفظ لنفسه بالسماء، وأعطى البحر إلى بوسيديون، والعالم السفلى إلى هيديس. ولكن زيوس كان بدوره طاغيةً جبارا، فلقد ظلم جنس البشر، وفكر فى إبادتهم وخلق جنس آخر بدلا منهم. ولذا تمرد ضده بروميثيوس وسرق شعلة النار وقدمها لبنى الإنسان.

وكانت لزيوس رذائل أخرى : فقد كان شهوياً شرساً. والمعروف أنه كان قد تزوج من هيرا الجميلة، ولكنه كان يخونها كلما سنحت له الفرصة. ولم يكن ليكتفى بالزواج من الربات الفاتنات، بل كان يتصيد الحلوات من بنات بنى البشر، وكان يعلل هذا النَهمَ بأن بعض أنساب البشر المختارين تنحدر من صلبه الإلهى!!.

ويعدد الشاعر هزيود زيجات زيوس الإلهية منها والبشرية : ففى البدء تزوج من ميتيس وأنجب منها الربة آثينا، ثم تزوج من ديميتر وأنجب

منها بيرسيفونى؛ ثم تزوج من ليتو وأنجب منها أبو للو وأرتميس، ثم تزوج من هيرا وأنجب منها هيبى واريس وإيليثيا، ثم تزوج من مايا إبنة أطلس وأنجب منها هرميس.

أما زيجاته البشرية فكانت فى أغلبها اغتصاباً، ومن ضحاياه: امفتريون، دانا، يوربا، أنتيوبى، ليدا، ثم صاحبتنا التعسة إيو إبنة الراعى التى تكشف مسرحية بروميثيوس فى الأغلال عن بشاعة مأساتها.

بقيت كلمة عن ربات الأقدار اللاتى يعرفن فى اليونانية باسم «ميرى»، وباللاتينية باسم «فاتا»، ويحدثنا الشاعر هزيود بأن عدد هؤلاء الربات ثلاث، وهن يلقبن باسم «بنات الليل»، ويظن أنهن ولدن نتيجة لعلاقة بين زيوس وتيميس. ومهمة هذه الأرواح رسم القدر لكل مولود فرد، وأسماؤهن هى كلوتو، لاخيسيس ثم أتروبوس. ويمثلن كبنات عانسات طاعنات فى السن يقضين الوقت فى غزل الخيوط: وتمسك أولاهن بفلكة المغزل، وتشتغل الثانية بسحب الخيوط، فى حين تسهر الثالثة على تقطيع تلك الخيوط!

هذا وينبغى ملاحظة أن «بروميثيوس فى الأغلال» تعالج واحدة من أخطر القضايا التى شغلت أذهان اليونان القدامى : ألا وهى عقدة الصراع بين الإنسان والقدر. والحق أن القدر كان مسلطا دوما على رقاب البشر وأيضا على مصائر الأرباب أنفسهم. فمع أن زيوس كبير الأرباب قد نجح فى أن يقيد خصمه بروميثيوس فى جبال اسكيزيا بأغلال من الحديد والمسمار، إلا أن زيوس نفسه لن يفلت من المقدر عليه. فكما أنه

تمرد على أبيه كرونوس، فإنه بدوره سوف يشرب من نفس الكأس المرة في الجيل الثالث عشر على يد واحد من نسل إيو التعيسة.

إن بروميثيوس هو الأنموذج الكلاسيكي لقضية الصراع الأزلي بين الخير والشر. ولعل ما لم يفصح عنه اسخيلوس صراحةً في «أغلاله» قد كشف عنه الشاعر الإنجليزي بيرسي شيللي (١٧٩٢ - ١٨٢٢م) وهو يحطم تلك الأغلال: عندما صعّد الصراع من مجرد صراع بين الخير والشر في شيء من التجريد إلى حقيقة الصراع المستعر في النصف الأول من القرن التاسع عشر بين الطبقات المظلومة في انجلترا من عمال غزل ومناجم فحم، والشعوب المقهورة في جامايكا وأكرا وجوها نسبرج وبومباي ضد بريطانيا العظمى التي امتصت هذي الطبقات وتلك الشعوب حتى النخاع. ولذا فإن بروميثيوس شيللي يتحدى الأغلال وآلامها وسدنتها جميعا.. مبشراً بعصر الانعتاق الجديد :

"Fiend! I defy thee! with a calm, fixed mind,
All that thou canst inflict I bid thee do;
Foul Tyrant both of Gods and Human - kind,
One only being shalt thou not subdue".

رقم الايداع ٤٥٤٢ / ١٩٩١
T.S.D.N.
الترقيم الدولى ٤ - ١٥٨١ - ٠٠ـ٩٧٧

